

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْمِيَةُ الذِّكَاةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ عِنْدَ الْأَبْنَاءِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ فَأَحْسَنَ صُنْعَهُ، وَأَوْدَعَ فِيهِ الْفِطْنَةَ لِيُمَيِّزَ دَرْبَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهَبَ لِلْعِبَادِ نِعْمَةَ الْبَيَانِ، وَأَوْدَعَ فِيهِمْ سِرَّ الْفَهْمِ وَالْإِتْقَانِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْفَعُ النَّاسَ خُلُقًا، وَأَصْدَقُهُمْ قَوْلًا وَفِعْلًا، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، مَصَابِيحِ الدُّجَى وَسَادَةِ الْوَرَى.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

فِي عَصْرِ يَتَسَمُّ بِتَنْوَعِ التَّوَاصُلِ الاجْتِمَاعِيِّ وَوَسَائِلِهِ، أَصْبَحَ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ نُوجِّهَ أَبْنَاءَنَا نَحْوَ تَطْوِيرِ مَهَارَاتِهِمْ وَتَنْمِيَةِ ذِكَاةَاتِهِمْ الاجْتِمَاعِيَّةِ. وَالذِّكَاةُ الاجْتِمَاعِيَّةُ هُوَ الْقُدْرَةُ عَلَى فَهْمِ الْآخَرِينَ وَالتَّعَاطِي مَعَهُمْ بِفَاعِلِيَّةٍ، وَلِيَتَحَقَّقَ ذَلِكَ لَا بُدَّ مِنْ تَوْسِيعِ مَهَارَاتِ التَّوَاصُلِ، لِتَعْزِيزِ الْقُدْرَةِ عَلَى بِنَاءِ الْعِلَاقَاتِ؛ حَتَّى يَبْقَى الْمُسْلِمُ قَادِرًا عَلَى الْعَطَاءِ، وَيَتَجَاوَزَ خِطَابَ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، يَقُولُ اللَّهُ رَبُّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٢)، فَالْقُدْرَةُ عَلَى ضَبْطِ النَّفْسِ عِنْدَ مُخَاطَبَةِ الْجَاهِلِينَ لَا يُحْسِنُهُ إِلَّا مَنْ رَبَّى نَفْسَهُ عَلَى أَحْسَنِ الْمَهَارَاتِ وَأَفْضَلِ الْقُدْرَاتِ فِي التَّوَاصُلِ مَعَ جَمِيعِ الْفِئَاتِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

لَا رَيْبَ أَنَّ تَنْمِيَةَ مَهَارَاتِ الذِّكَاةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ عِنْدَ الْأَبْنَاءِ تَجْعَلُهُمْ قَادِرِينَ عَلَى بِنَاءِ عِلَاقَاتٍ صَاحِبَةٍ مَعَ أَقْرَانِهِمْ وَأَفْرَادِ مُجْتَمَعِهِمْ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَقُودُ إِلَى شُعُورِهِمْ بِالِانْتِمَاءِ إِلَى الْمُجْتَمَعِ، فَيَسْعَوْنَ إِلَى صِلَاةٍ وَإِصْلَاحِهِ. وَأَوَّلُ مَرَاتِبِ تَنْمِيَةِ هَذِهِ الْمَهَارَةِ تَشْجِيعُهُمْ عَلَى الْحِوَارِ، وَإِشْرَاكُهُمْ فِي إِبْدَاءِ الرَّأْيِ دُونَ غِلْظَةِ أَوْ شِدَّةٍ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ

(١) الحشر: ١٨
(٢) الفرقان: ٦٣

وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ^(١)، وَيَقُولُ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: ((أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ كَالرَّجُلِ الْمُسْلِمِ لَا يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا، تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ))، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ لَا يَتَكَلَّمَانِ، فَكْرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، فَلَمَّا لَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((هِيَ النَّخْلَةُ))، فَلَمَّا قُمْنَا قُلْتُ لِعُمَرَ: يَا أَبَتَاهُ، وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ؟ قَالَ: لَمْ أَرَكُمُ تَتَكَلَّمُونَ، فَكْرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ أَوْ أَقُولَ شَيْئًا، قَالَ عُمَرُ: لِأَنَّ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا".

هذه -عباد الله- صورة جليلة تبين أهمية إشراك الأبناء في كلام الكبار أحياناً ليتعلموا المفيد، فتتضح عقولهم ليكونوا من أهل الرأي السديد، بل لا يليق بالمربي أن يشعر أبناءه بأن عقولهم صغيرة، أو أن يصفهم بقلّة المؤهلات أو ضعف مستواهم الإدراكي، فإنّ النبي ﷺ كان يحترم آراء الصغار في حضرة الكبار، تعزيزاً للنّعة في نفوسهم، وإشعاعاً لمشاعل الحكمة وحسن اختيار الكلمة، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: "أتى رسول الله ﷺ بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام، وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام: ((أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟))، فقال الغلام: والله - يا رسول الله - لا أوثر بنصيب منك أحداً، قال: فتلّه رسول الله ﷺ في يده"، أي وضعه في يده. وفي الحادثة نجد أنّ رسول الله ﷺ وجّهنا إلى الاهتمام بحق الجميع؛ فاستئذانه الطفل حفظ لحقه، وطلبه أن يتنازل للكبار عن دوره مراعاةً لحقهم، فلمّا وجد إضرار الطفل على رأيه ناو له دون عتاب أو تعنيف.

فاتقوا الله -عباد الله-، وأحسنوا فهم نفسيات أبنائكم، واجتهدوا في إصلاح أقوالهم وأفعالهم، فهو دأب نبيكم، وأمر ربكم.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه

يستجب لكم إنه هو البرّ الكريم.

*** **



الْحَمْدُ لِلَّهِ اللَّطِيفِ بَعْبَادِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ الْحَلِيمِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَهْلِ الْفَضَائِلِ وَالتَّكْرِيمِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ: قَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُشَارِكُ الْأَطْفَالَ فِي أَحَادِيثَ تَجَذِبُ انْتِبَاهَهُمْ، وَتُلَطِّفُ الْعِلَاقَةَ مَعَهُمْ، فَيَخْتَارُ أحيانًا مِنَ الْمَوَاضِعِ مَا يُلَامِسُ اهْتِمَامَاتِهِمْ، يُحَدِّثُنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَخَاهُ أَبَا عُمَيْرٍ كَانَ يُرَبِّي طَائِرًا تَعَلَّقَ بِهِ وَيَلْعَبُ مَعَهُ، فَإِذَا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَرَأَى أَبَا عُمَيْرٍ فَتَحَ حِوَارًا مَعَهُ عَن طَائِرِهِ، يَقُولُ أَنَسُ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ - أَحْسَبُهُ فَطِيمًا - وَكَانَ إِذَا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَأَهُ، قَالَ: ((أَبَا عُمَيْرٍ: مَا فَعَلَ النُّعَيْرُ؟))، فَكَانَ يَلْعَبُ بِهِ".

إِنَّ التِّزَامَ الْوَالِدِينَ بِحُسْنِ الْحِوَارِ وَجَمَالِ التَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ يَجْعَلُ الْأَبْنَاءَ يُرَاقِبُونَ فَيَقْتَدُونَ، فَمَا أَطْفَالُنَا إِلَّا آنِيَةٌ نَمْلُوهَا يَوْمِيًّا بِمَا يُشَاهِدُونَنَا نَفْعُهُ، وَمَا يَسْمَعُونَهُ مِنَّا عَنِ النَّاسِ وَمَعَ النَّاسِ، وَفِي الْمَثَلِ الْعَرَبِيِّ: "كُلُّ إِنَاءٍ بِمَا فِيهِ يَنْضَحُ"، فَإِذَا كَانَتْ أَقْوَالُنَا تَنْطَلِقُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١)، تَزَيَّنَتْ أَقْوَالُ أَبْنَائِنَا بِالْحَسَنِ، وَإِذَا كَانَتْ أَفْعَالُنَا مُوَافِقَةً لِأَمْرِ رَبِّنَا فَاقْتَدَى أَبْنَاؤُنَا بِنَا نَلْنَا جَمِيعًا حَيَاةً كَرِيمَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢).

فَانْتَقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَلِيَضَعْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا أَمَامَ عَيْنِهِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (٣).

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ؛ مُحَمَّدِ الْهَادِي الْأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٤).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا

(١) الإسراء: ٥٣
(٢) النحل: ٩٧
(٣) الإسراء: ٣٦
(٤) الأحزاب: ٥٦

إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَرْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْخَيْرِ، وَانْحَسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَانْكُتِبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ كُنْ عَوْنًا لِإِخْوَانِنَا فِي أَرْضِ الْأَقْصَى الْمُبَارَكِ، وَكُنْ مَعَهُمْ وَتَبِّثْهُمْ وَارْبِطْ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَصَبِّرْهُمْ، وَاخْذُلْ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُمْ، وَاجْعَلِ الدَّائِرَةَ عَلَيْهِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرَّشْدِ، وَنَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَنَسْأَلُكَ قُلُوبًا سَلِيمَةً، وَاللِّسَنَةَ صَادِقَةً، وَنَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَغِيثُ أَلَّا تَكِلَنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ، وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾